



يا عمال العالم، اتحدوا!

طريقُ البُلشفيَّةِ



سؤالين

الثورة في الصين ومهمّات الأهميّة الشيوعيّة

خطاب في الجلسة العاشرة من الاجتماع الثامن الموسّع لتنفيذيّة الأُمّية الشيوعيّة

24 أيّار 1927

ترجمة

محمد علي العربي

نشر البُلشفيّة العربيّة

نوفمبر، أيّار 2012

المصدر المعتمد في الترجمة:

THE REVOLUTION IN CHINA AND THE TASKS OF THE COMINTERN
Speech delivered at the Tenth Sitting, Eighth Plenum of the ECCI, May 24, 1927

J. Stalin: Works, Vol. 9, p. 288-318
Foreign Languages Publishing House
Moscow, 1954

الفهرس

1. بعض القضايا الصغرة.....4
2. الثورة الفلاحية-الزراعية من جهة أمها قاعدة الثورة الديمقراطية البرجوازية...6
3. يمين الكيومينتانغ يذبج الشيوعيين في نانكين ويسار الكيومينتانغ يحتفظ بتحالفة مع الشيوعيين في ووهان.....12
4. مجالس نواب العمال والفلاحين في الصين.....15
5. خطان23

1. بعض القضايا الصغيرة

أيها الرفاق، أعتذر على حضوري متأخراً إلى جلسة اليوم لتنفيذية الأمانة الشيوعية. فلم أستمع، طبعاً، إلى كامل الخطاب الذي تلاه تروتسكي هنا في تنفيذية الأمانة الشيوعية.

لكن، أعتقد أنه لا تنقصنا المادة الأدبية الضافية لننقد المعارضة، فقد قدّم تروتسكي في الأيام الأخيرة إلى تنفيذية الأمانة الشيوعية أطروحات ورسائل في القضية الصينية. لذا، سيرتكز نقدي لأخطاء تروتسكي على تلك الوثائق، وليس لي شك في أنّ ذلك سيكون في ذات الوقت نقداً لأسس الخطاب الذي تلاه تروتسكي اليوم.

سأسعى قدر الإمكان حتى تكون الأمور الشخصية بعيدة. فلا ننسى أبداً أنّ تهجمات تروتسكي وزينوفيف الشخصية كانت بصفتهما عضوين في المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي في الاتحاد السوفيتي وبصفتهما عضوين في مجلس رئاسة الأمانة الشيوعية.

من البديهي أنّ يجتذ تروتسكي أن يكون خلال اجتماعات تنفيذية الأمانة الشيوعية بطلاً حتى يغيّر النظر في قضية خطر الحرب والثورة الصينية، إلخ، إلى النظر في قضية تروتسكي. وأعتقد أنّ تروتسكي لا يستحقّ اعتباراً كبيراً. فهو بمثابة ممثل أكثر مما هو بمثابة بطل. ولا يجب أن نخلط بين الممثل والبطل.

لن أقول شيئاً عن واقع أنّ أشخاصاً مثل تروتسكي وزينوفيف، وقد وجدهما الاجتماع السابع الموسع على انحراف اشتراكي-ديمقراطي، يقدحان في كلّ ما للبلاششفة من أهمية. فليس هنالك من تهجم عند بوخارين أو ستالين. على العكس، سأكون أكثر تهجماً لو أنّ شبه منشفي من رهط تروتسكي أو زينوفيف لم يقده في وإثماً مدحني.

سوف لن أطيل الحديث في كيف أنّ المعارضة، من خلال إعلانها الحالي ككتلة، قد خرقت ما التزمت به في 16 تشرين الأول 1926. يؤكد تروتسكي أنّ ذلك الإعلان يحوّل له الحقّ في أنّ يدافع عن وجهة نظره. طبيعي أنّ ذلك صحيح. أمّا أن يسعى تروتسكي

بذلك إلى أن يذهب في اعتقادنا أن ذلك كلّ ما ينطوي عليه ذلك الإعلان فلا يمكن أن نسمّي ذلك إلاّ سفسطة.

إنّ الإعلان حول المعارضة في 16 تشرين الأوّل لا يتحدّث عن حقّ المعارضة في أن تدافع عن وجهة نظرها فحسب، بل يتحدّث أيضا عن كيف أنّ وجهة النظر تلك يمكن الحفاظ عليها فقط في الحدود التي يسمح بها الحزب، وكيف أنّ التكتل يجب أن يشجب ويوضع له حدّ، وكيف يجب على المعارضة أن «تخضع دون تحقّظ» لإرادة الحزب وقرارات اللجنة المركزيّة، وكيف يجب على المعارضة لا أن تخضع لتلك القرارات فحسب، بل أن «تحسن تنفيذها» جيّدا.

فإذا ما أخذنا كلّ ذلك بعين الاعتبار، فهل يلزمنا برهان آخر لنثبت أن المعارضة قد خرقت على نحو فضّ إعلان 16 تشرين الأوّل 1926؟

سوف لن أتوسّع في ما تضمّنته عديد الأطروحات والمقالات والخطابات الرّاجعة إلى المعارضة من تشويه غريب وفضّ لمواقف اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي البلّشفي في الاتحاد السوفييتي والأُمّية الشيوعيّة في القضيّة الصّينيّة.

لا يكفّ تروتسكي وزينوفييف عن الرّغم بأنّ اللجنة المركزيّة والأُمّية الشيوعيّة قد أيّدتا ولا تزالان تؤيّدان سياسة «مساندة» البرجوازيّة الوطنيّة في الصّين.

نحن في غنى عن البرهنة على أنّ تأكيد تروتسكي وزينوفييف هو فبركة واتّهام وتشويه لا أساس له. ففي الواقع لم تؤكّد اللجنة المركزيّة والأُمّية الشيوعيّة على سياسة مساندة البرجوازيّة الوطنيّة وإنّما على سياسة استغلال البرجوازيّة الوطنيّة طالما أنّ الثّورة في الصّين هي ثورة كلّ الجبهة الوطنيّة المتّحدة، وقد عوّضتا هذه السياسة بسياسة التّضال المسلّح ضدّ البرجوازيّة الوطنيّة لما أصبحت الثّورة ثورة زراعيّة وشرعت البرجوازيّة الوطنيّة في مغادرة الثّورة.

وحتىّ نقتنع بذلك، ليس أمامنا سوى أن ندرس وثائق من قبيل قرار الاجتماع السّابع الموسّع¹ ونداء تنفيذيّة الأُمّية الشيوعيّة وأطروحات سنالين للدّعاية² وأخيرا أطروحات

¹ أنظر: الأُمّية الشيوعيّة والثّورة الصّينيّة (أهم القرارات)، ترجمتنا، نع، آذار 2012.

² أنظر: سنالين: قضايا الثّورة الصّينيّة أطروحات للدّعاية، 21 نيسان 1927، ترجمتنا، نع، آذار 2012

بوخارين التي تسلمها مجلس رئاسة الأُمّية الشيوعية يوم أمس. إته لمن تعاسة المعارضة
أتمها لا تتصرف إلا بالثرثرة والغرابة.

2. الثورة الفلاحية-الزراعية من جهة أنها قاعدة الثورة الديمقراطية البرجوازية

الخطأ الأساسي عند تروتسكي أنه لا يفهم طابع الثورة الصينية ومغزاها.
تنبأ الأُمّية الشيوعية فكرة أن بقايا الإقطاع هي عامل أساسي في الاضطهاد في الصين
في الوقت الحاضر، عامل تفجير الثورة الزراعية. وتعتقد الأُمّية الشيوعية أن بقايا
الإقطاع في الأرياف الصينية، والتي تركز عليها مجمل البنية الفوقية البيروقراطية
والعسكرية بما فيها من توشان وحكام وجنرالات من قبيل شانغ تسولين وغيرهم، إنما
تمثل القاعدة التي اندلعت منها الثورة الزراعية الحالية وهي تجري فيها.
فإذا كان 70 بالمائة من محصول الفلاحين يذهب إلى المالكين العقاريين والتبلاء، وإذا
كان المالكون العقاريون، المسلحون أو غير المسلحين، يمتلكون لا فقط السلطة
الاقتصادية فحسب، بل يمتلكون كذلك السلطة الإدارية والقضائية، وإذا كان بيع
وشراء النساء والأطفال على طريقة القرون الوسطى لا يزال يطبق في عدد معين من
الأقاليم، - لا يمكننا أن لا نقبل بأن بقايا الإقطاع هي الشكل الرئيسي من أشكال
الاضطهاد في الأقاليم الصينية.

ولأن بقايا الإقطاع، بكامل بنيتها الفوقية البيروقراطية والعسكرية، هي الشكل الرئيسي
للاضطهاد في الصين، فإن الصين تمر بثورة زراعية على قوة وأهمية عملاقين.
وما هي الثورة الزراعية؟ إنها بالفعل قاعدة الثورة الديمقراطية البرجوازية ومحتواها. ولهذا
السبب، على وجه التحديد، تقول الأُمّية الشيوعية أن الصين تمر بثورة ديمقراطية
برجوازية.

لكن الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين ليست موجهة ضد بقايا الإقطاع فحسب،
فهي موجهة أيضا ضد الإمبريالية. لماذا؟ لأن الإمبريالية، بما لها من كامل القوة المادية

والعسكرية، هي القوّة التي تهتمّ ببقايا الإقطاع وتثيرها وتحافظ عليها بالتعاون مع كامل بنيتها الفوقيّة العسكرية والبيروقراطيّة.

لأنّه تستحيل الإطاحة ببقايا الإقطاع في الصّين دون خوض نضال ثوري ضدّ الإمبرياليّة في الصّين في ذات الوقت.

لأنّه يجب على كلّ الذين يريدون الإطاحة ببقايا الإقطاع في الصّين، أن يرفعوا أياديهم بالضرورة في وجه الإمبرياليّة والمجموعات الإمبرياليّة في الصّين.

لأنّ بقايا الإقطاع في الصّين لا يمكن كسرها وإسقاطها دون خوض نضال حاسم ضدّ الإمبرياليّة.

ولهذا السبب، على وجه التّحديد، تقول الأميّة الشيوعيّة أنّ الثّورة الديمقراطيّة البرجوازيّة في الصّين هي ثورة معادية للإمبرياليّة في ذات الوقت.

وهكذا، فالثّورة الحاليّة في الصّين هي جمع لتيّارين من الحركة الثّوريّة؛ الحركة المعادية لبقايا الإقطاع والحركة المعادية للإمبرياليّة. والثّورة الديمقراطيّة البرجوازيّة في الصّين هي جمع بين التّضال ضدّ بقايا الإقطاع والتّضال ضدّ الإمبرياليّة.

تلك نقطة انطلاق كامل خطّ الأميّة الشيوعيّة (وبالتّالي اللّجنة المركزيّة للحزب الشيوعي البلشفي في الاتّحاد السوفييتي) في قضايا الثّورة الصّينيّة.

وما هي نقطة انطلاق في نظرة تروتسكي إلى القضيّة الصّينيّة؟ إنّها تلك التي تناقض مباشرة نظرة الأميّة الشيوعيّة التي بسطنا. فتروتسكي إمّا يرفض الاعتراف بوجود بقايا الإقطاع في الصّين رفضاً قاطعاً وإمّا لا يوليها أهميّة حاسمة. إنّ تروتسكي (وبالتّالي

المعارضة) تنتقص من قوّة ومعزى الاضطهاد الإقطاعي والبيروقراطي في الصّين، ويفترض أنّ هدف الثّورة الوطنيّة الصّينيّة الأساسي هو استقلال الصّين استقلالاً

جمرياً عن البلدان الإمبرياليّة. واسمحوا لي أن أعتمد على أطروحات تروتسكي التي قدّما إلى كلّ من اللّجنة المركزيّة للحزب الشيوعي البلشفي في الاتّحاد السوفييتي

وتنفيذيّة الأميّة الشيوعيّة منذ أيّام، عنوانها «الثّورة الصّينيّة وأطروحات ستالين».

إليكم ما يقوله تروتسكي في تلك الأطروحات:

«من جهة الأساس، لا يمكننا أن ندعم محاولة بوخارين التي ترمي إلى تبرير خطّ

انتهازيته الذي يشير إلى الدور الأساسي المزعوم «لبقايا الإقطاع» في الاقتصاد

الصّيني. وحتى إذا ما كان تقييم بوخارين للاقتصاد الصّيني مركّزا على تحليل اقتصادي لا على مفاهيم مدرسيّة، فلا يمكن حتى لـ«بقايا الإقطاع» كلّها أن تبرّر السياسة التي سهّلت، على نحو جدّ واضح، انقلاب نيسان. الثّورة الصّينيّة لها طابع وطني برجوازي لسبب أساسي هو أنّ تطوّر القوى المنتجة للرأسماليّة الصّينيّة تعرفه حالة التّبعية الجمركيّة للبلدان الرّأسماليّة.» (أنظر: تروتسكي: الثّورة الصّينيّة وأطروحات ستالين).

إنّ قراءة خاطفة لهذا المقتطف يمكنها أن تجعلنا نعتقد أنّ تروتسكي لا يحارب خطّ الأميّة الشّيعيّة في قضيتة طابع الثّورة الصّينيّة وإنّما يحارب «السياسة المساومة» عند بوخارين. طبعاً، ذلك غير صحيح. الآن، ما لدينا هو تكذيب لفكرة «الثّور الأساسي» لبقايا الإقطاع في الصّين. ما وقع تأكّده الآن هنا هو أنّ الثّورة الزراعيّة التي تتطوّر في الصّين هي ثورة الشّريجة العليا، ثورة معادية للتّبعية الجمركيّة إن صحّ التعبير. لقد كان الحديث عن «السياسة المساومة» عند بوخارين هنا ضروريّاً عند تروتسكي حتى يخفي مغادرته خطّ الأميّة الشّيعيّة. وأقول دون غموض أنّ زاد تروتسكي هو عادة الغش.

إذن، ينتج عن ذلك حسب تروتسكي أنّ بقايا الإقطاع في الصّين بمجمل ما لها من بنية فوقيّة بيروقراطيّة وعسكريّة ليست من قضايا الثّورة الصّينيّة في الوقت الحالي وإنّما هي عامل ثانوي لا أهميّة له ولا يستحقّ إلّا أن نضعه بين معقوفين.

إذن، ينتج عن ذلك حسب تروتسكي أنّ «السّبب الأساسي» للثّورة الوطنيّة في الصّين هو التّبعية الجمركيّة للإمبرياليّين وأنّ الثّورة في الصّين هي، بسبب ذلك، بالأساس، ثورة معادية للتّبعية الجمركيّة.

تلك نقطة الانطلاق في تصوّر تروتسكي.

تلك نظرة تروتسكي لطابع الثّورة الصّينيّة.

واسمحوا لي أن ألاحظ أنّ تلك النظرة هي ذات النظرة عند «سعادة» مستشار الدّولة تشانغ تسولين.

إذا كانت وجهة نظر تروتسكي صحيحة وجب أن نقبل بأن تشانغ تسولين وتشانغ كاي-تشيك على حق عندما لا يقبلان ثورة زراعية أو عمالية، وأن يبذلا الجهد فقط للإطاحة بالاتفاقيات الجائرة ولتركيز استقلال جمركي خاص بالصين.

لقد انزلق تروتسكي إلى وجهة نظر موثقي تشانغ تسولين وتشانغ كاي-تشيك. إذا كان يجب أن نضع بقايا الإقطاع بين معوقين، وإذا كانت الأممية الشيوعية قد أخطأت عندما أعلنت أن لبقايا الإقطاع أهمية أساسية في المرحلة الحالية من الثورة، وإذا كانت قاعدة الثورة الصينية هي التبعية الجمركية وليس التضال ضد بقايا الإقطاع والإمبريالية التي تحميها، فما الذي تبقى من الثورة الزراعية في الصين؟

من أين أتت الثورة الزراعية في الصين بمطلبها في تأمين أراضي المالكين العقارين؟ وما الذي يجعلنا في هذه الحالة نعتبر الثورة الصينية ثورة ديمقراطية برجوازية؟ أليست الثورة الزراعية هي قاعدة الثورة الديمقراطية البرجوازية فعلا؟ حقا، لا يمكن للثورة الزراعية أن تأتي من السماء؟

ألم تخاطر الملايين وعشرات الملايين من الفلاحين في ثورة زراعية عملاقة في أقاليم مثل هونان وهوبي وهينان وغيرها حيث ركز الفلاحون سلطتهم الخاصة ومحاكمهم الخاصة وأجهزة دفاعهم الذاتي ومطاردين المالكين ومصفي حساباتهم معهم «على طريقتهم الشعبية»؟

أكنا سنجد مثل تلك الحركة الزراعية القوية لو لم يكن الاضطهاد الإقطاعي-العسكري الشكل الأساسي للاضطهاد في الصين؟ كيف أمكن لحركة قوية من عشرات الملايين من الفلاحين أن تأخذ طابعا معاديا للإمبريالية لو أننا لم نعترف بأن الإمبريالية هي الحليف الرئيسي للإقطاعيين والعسكريين مضطهدي الشعب الصيني.

ألا تضم الجمعية الفلاحية في هونان وحدها أكثر من مليونين ونصف المليون عضو؟ وك أصبح منهم في هوبي وفي هينان؟ وك سيصبح منهم في أقاليم صينية أخرى في مستقبل قريب جدا؟

وماذا نقول عن «الزمامة الحمر» و«جمعيات شد الأحزمة» وغيرها، أمن من الممكن أن تكون نتاج الخيال، وليست واقعا؟

هل يمكننا، بجدّ، أن ندعم قولاً مفاده أنّ الثورة الزراعيّة التي شملت عشرات الملايين من الفلاحين تحت شعار تأميم أراضي المالكين العقاريين لم تكن موجهة ضدّ بقايا إقطاعيّة حقيقيّة وحيّة وإثماً ضدّ أشخاص خياليين بين معقوفين؟ أليس من الطبيعيّ أن يكون تروتسكي قد انزلق إلى وجهة نظر موظفي «سعادة» تشانغ تسولين؟

وهكذا، لدينا خطّان أساسيان:

أ. خط الأهميّة الشيوعيّة، الذي يأخذ بعين الاعتبار بقايا الإقطاع في الصّين، من جهة أنّها الشّكل الأساسي من أشكال الاضطهاد؛ وما للحركة الزراعيّة القويّة من أهميّة حاسمة؛ وما لبقايا الإقطاع من صلة بالإمبرياليّة؛ وما للثورة الصّينيّة من طابع ديمقراطي برجوازي وما لها من مرمي هو التّضال ضدّ الإمبرياليّة؛

ب. خط تروتسكي، الذي يبنّي ما للاضطهاد الإقطاعي-العسكري من أهميّة أساسيّة؛ ولم ينجح في تقدير ما للحركة الزراعيّة في الصّين من أهميّة حاسمة؛ ويحصر الطّابع المعادي للإمبرياليّة في الثورة الصّينيّة في حدود مصالح الرّأسماليّة الصّينيّة وهو مطلب استقلال الصّين الجمركي.

إنّ الخطأ الأساسي عند تروتسكي (وبالتالي عند المعارضة) هو أنّه ينتقص من أهميّة الثورة الزراعيّة في الصّين ولا يفهم ما لتلك الثورة من طابع ديمقراطي برجوازي وينفي وجود الطّروف الموضوعيّة لحركة زراعيّة في الصّين تشمل عدّة ملايين وينتقص من أهميّة دور الفلاحين في الثورة الصّينيّة.

وهذا خطأ ليس بالجديد عند تروتسكي؛ فقد كان السّمة الأكثر تميّزاً لكامل خطّه خلال كامل مرحلة صراعه ضدّ البلشفيّة.

الاتّقص من أهميّة دور الفلاحين في الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة هو خطأ تابعه تروتسكي منذ 1905. وقد كان خطأ صارخاً على نحو خاصّ قبل ثورة شبّاط 1917، وهو متمسك به إلى اليوم.

اسمحوا لي أن أشير إلى بعض الوقائع المتصلة بصراع تروتسكي ضدّ اللينينيّة عشية ثورة شبّاط 1917، مثلاً، لما كنا نتقدّم نحو الانتصار في الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة في روسيا.

لقد قال تروتسكي وقتئذ أنه منذ أن قوي التمايز صلب الفلاحين وأصبحت الإمبريالية هي المهجنة وأصبحت الطبقة العمالية تعارض الأمة البرجوازية، انحسر دور الفلاحين ولم تعد للتورة الزراعية تلك الأهمية التي كانت لها عام 1905.

ماذا قال لينين ردًا على ذلك؟ اسمحو لي أن أقتبس مقتطفًا من مقال كتبه لينين عام 1915 في موضوع دور الفلاحين في الثورة الديمقراطية البرجوازية في روسيا:

﴿إن هذه النظرية (يشير إلى نظرية «الثورة الدائمة» عند تروتسكي - ستالين) التي يرجع أصلها إلى تروتسكي تستعير من البلاشفة دعوتهم إلى أن تناضل الطبقة العمالية نضالًا حاسمًا من أجل أن تفنك السطلة السياسية، وتستعير من المناشفة «فهم» لدور الفلاحين. فربما انقسم الفلاحون شرًا، وتمايزوا وأصبحوا، شيئًا فشيئًا، غير قادرين على لعب دور ثوري؛ فتورة «وطنية» في روسيا إنما هي أمر مستحيل. «نحن نعيش عصر الإمبريالية» لكن «ليس في الإمبريالية تعارضًا بين الأمة البرجوازية والتظام القديم، بل فيها تعارض بين الطبقة العمالية والأمة البرجوازية».

لدينا هنا مثالًا من التلاعب بكلمة: «إمبريالية» يبعث على الضحك! فلما كانت الطبقة العمالية في روسيا تعارض «الأمة البرجوازية»، فذلك يعني أن روسيا على عتبة ثورة اشتراكية!! لذا، فشعار «تأميم أراضي المالكين العقاريين» (الذي كرره تروتسكي عام 1915 بعد أن قام بذلك بعد مجلس كانون الثاني عام 1912) شعار غير صحيح، ويجب علينا أن نتحدث لا عن «حكومة عمالية ثورية» وإنما عن «حكومة عمالية اشتراكية»!! إلى أي درجة من التشويش يبلغ تروتسكي في جملته التي يقول فيها أن الطبقة العمالية ستجرح معها، أيضًا، جماهير الناس غير العمالية! (العدد 217). لم يذهب في بال تروتسكي أنه إذا ما جرت الطبقة العمالية معها الجماهير غير العمالية في البلاد في سبيل تأميم أراضي المالكين العقاريين والإطاحة بالأوتوقراطية فسيكون ذلك بمثابة إتمام «الثورة الوطنية البرجوازية» في روسيا، بمثابة دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية!

إن السنوات العشر، من 1905 إلى 1915، بأكملها، تلك العشرية العظيمة، برهنت على أن هناك خطان طبقتان فقط، في الثورة الروسية. لقد شدد تمايز الفلاحين الصراع الطبقي صلهم وأيقظ عديد العناصر الحاملة إلى الحياة السياسية وجعل عمال الريف

أقرب إلى عمال المدينة (لم ينفك البلاشفة يؤكّدون على تنظيم العمال الزراعيين في منظمات مستقلة منذ 1906، وأضافوا هذا المطلب في قرار مؤتمر ستوكهولم المنشفي). لكنّ الثّاحر فيما بين «الفّاحين» وماركوف-رومانوف-خوستوف أضحى عظيماً وأكثر تطوّراً وأكثر حدّة. إنّ هذه الحقيقة على درجة من البدهاة حتّى أنّ آلاف الجمل في العشرات من مقالات تروتسكي في باريس لا تستطيع أن ترفضها. إنّ تروتسكي يقدّم العون في الواقع للسياسيين العماليين اللبراليين في روسيا اللّذين يفهمون من «نفي» دور الفّاحين رفض دفع الفّاحين إلى الثّورة. وذلك هو بيت القصيد الآن.﴾ (أنظر: مجلد 18، ص 317-318)³

هذه الخاصية في لوحة تروتسكي، حيث يرى البرجوازية ويرى الطبقة العمالية ولا يلاحظ الفّاحين ولا يفهم دورهم في الثّورة الديمقراطيّة البرجوازية، هي بالضبط الخاصية التي تمثّل الخطأ الأساسي عند المعارضة في القضية الصينيّة، وهي بالضبط ما يمثّل عند تروتسكي والمعارضة من «شبه المنشفيّة» في قضية طابع الثّورة الصينيّة. وتنساب من هذا الخطأ الأساسي كلّ أخطاء المعارضة الأخرى وكلّ الخلط في تلك الأطروحات في القضية الصينيّة.

3. يمين الكيومينتانغ يذبّ الشيوعيين في نانكين ويسار الكيومينتانغ يحتفظ بتحالفه مع الشيوعيين في ووهان

لنأخذ قضية ووهان على سبيل المثال. إنّ مواقف الأمية الشيوعية من الدور الثّوري لوهان معروفة جيّداً وواضحة جيّداً. فمذ شرعت الصّين تتجاز ثورة زراعية، ومذ أصبح انتصار الثّورة الزراعيّة انتصار الثّورة الديمقراطيّة البرجوازية وانتصار دكتاتورية

³ لينين: في موضوع الخطّين في الثّورة، الأعمال الكاملة، المجلد 21، ص 419، الطبعة

الإنجليزية الثانية، دار التّقدم، موسكو، 1974

العمال والفلاحين الثورية، ومد أصبحت نانكين مركز الثورة المضادة القومية ووهان مركز الحركة الثورية في الصين، أصبح من الواجب مساندة كيومينتانغ ووهان ووجب على الشيوعيين أن يشاركو في هذا الكيومينتانغ وفي حكومته الثورية شرط أن يضموا للطبقة العاليتة وحزبا الدور القيادي داخل الكيومينتانغ وخارجه في ذات الوقت. هل حكومة ووهان الحالية هجاز لدكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية؟ كلا، ليست ذلك الجهاز في الوقت الحالي، ولا يمكنها أن تكون كذلك قريبا. لكن لها كل فرص التطور إلى مثل ذلك الجهاز إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تطور الثورة اللاحق ونجاحاتها.

ذلك هو موقف الأمية الشيوعية.

أما طريقة تروتسكي في النظر فهي مختلفة تماما. فهو لا يعتبر ووهان مركز الحركة الثورية بل «خدعة». فلما سؤل تروتسكي ما هو يسار الكيومينتانغ في الوقت الحالي، أجب: «إنه، إلى حد الآن، لا شيء أو تقريبا لا شيء».

لفترض أن ووهان خدعة. لكن إذا كانت ووهان خدعة فلماذا لم يؤكد تروتسكي على نضال حازم ضد هذه الخدعة. ومنذ متى كان الشيوعيون يساندون الخدع ويشاركون فيها ويكونون في مقدمتها؟ أليس حقا أن على الشيوعيين واجب التضال ضد الخدع؟ أليس حقا أن الشيوعيين إذا ما امتنعوا عن التضال ضد الخدع إنما يعني ذلك أنهم يخذعون العمال والفلاحين؟ فلماذا لم يقترح تروتسكي على الشيوعيين ضرورة التضال ضد هذه الخدعة بأن ينسحبوا فوراً من كيومينتانغ ووهان ومن حكومة ووهان؟ لماذا يقترح تروتسكي أن يظلوا داخل هذه الخدعة لا أن يغادروها؟ أين المنطق في ذلك؟

ألن يكون «منطقاً» تجاً إذا ما فسّرناه بواقع أن تروتسكي اتخذ موقفا معاديا تجاه ووهان وسماها خدعة، ثم خاف فترجع عن استخلاص النتيجة التي تستوجبها أطروحاته؟ أو لتناول زينوفيفيف مثلا. في أطروحاته التي ورّعت في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي في الأتحاد السوفييتي في نيسان من هذا العام حدّد زينوفيفيف الكيومينتانغ في ووهان على أنه من قبيل الحكومة الكاليتية في فترة 1920. لكنّ الحكومة الكاليتية هي حكومة تحارب العمال والفلاحين وهي حكومة لا وجود للشيوعيين فيها ولا

يمكنهم أن يكونوا فيها. وأعتقد النتيجة الوحيدة التي يمكن استخلاصها من ذلك التحديد هي: نضال حازم ضدّ ووهان، والإطاحة بحكومة ووهان.

لكن ذلك ما سيفكر فيه فقط أناس عاديون بمنطق عاديّ.

فليس ذلك ما يفكر فيه زينوفايف. فهو يحدّد حكومة ووهان في هانكيو على أنّها حكومة كإلّية لكنّه يقترح، في ذات الوقت، أن تحظى تلك الحكومة بالسند الأكثر حيويّة وأن لا يستقبل الشيوعيون منها وأن لا ينسحبوا من كيوميستانغ ووهان، إلخ.

إنّه يقول:

«من الضروريّ تقديم المساعدة الأكثر حيويّة وكلّ التدابير إلى هانكيو وتنظيم المقاومة لصدّ الكافينياكين. ويجب أن تتركز الجهود المباشرة المقبلة على وجه التحديد، على تسهيل التنظيم في هانكيو وتقويته» (أنظر: أطروحات زينوفايف)

حاولوا أن تفهموا إن كنتم تستطيعون!

قال تروتسكي إنّ ووهان أي هانكيو خدعة.

ويؤكّد زينوفايف، عكس ذلك، أنّ ووهان حكومة كإلّية. والخلاصة التي يجب استنتاجها هي أنّ الخدعة يجب أن تُحارب، أو نخاض معركة للإطاحة بحكومة ووهان. لكنّ الاثنان، تروتسكي وزينوفايف، يتراجعان عن الخلاصة التي تنبج عن موقفها، ويذهب زينوفايف إلى أبعد من ذلك ويقترح تقديم «المساعدة الأكثر حيويّة وكلّ التدابير إلى هانكيو».

ما كلّ هذا؟ إنّه يبيّن أنّ المعارضة تتخبّط في تناقضات. وفقدت قدرة التفكير المنطقي وفقدت كلّ معنى للآفاق.

تشوّش في التفكير وفقدان كلّ معنى للآفاق في قضية ووهان ذلك هو موقف تروتسكي والمعارضة إن أمكن أن نسمّي التشوّش موقفاً.

4. مجالس نواب العمال والفلاحين في الصين

أو لنأخذ قضية مجلس نواب العمال والفلاحين كمثال آخر. لنا في قضية تنظيم السوفييتات ثلاثة قرارات أقرها المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني: أطروحات لينين في تأليف مجالس الشغيلة غير العمالية والفلاحين في البلدان المتأخرة، وأطروحات روي في تأليف مجالس العمال والفلاحين في بلدان من قبيل الصين والهند، والأطروحات الخاصة: «متى وفي أية ظروف يمكن تأليف مجالس نواب العمال». تناولت أطروحات لينين تأليف مجالس «الفلاحين»، مجالس «الشعب»، مجالس «الشغيلة غير العمالية» في بلدان من قبيل تلك التي في آسيا الوسطى حيث لا توجد تقريبا طبقة عمالية صناعية. ولا تتحدث أطروحات لينين ولو بكلمة واحدة عن تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين في تلك البلدان.

ومن ناحية أخرى، تؤكد أطروحات لينين على أن من أحد الشروط الجوهرية في تطوّر وتأليف مجالس «الفلاحين» ومجالس «الشعب» في البلدان المتأخرة هو السند المباشر للثورة في هذه البلدان الذي تقدّمه الطبقة العمالية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية. ومن الواضح أنّ تلك الأطروحات لا تتناول الصين أو الهند - حيث يوجد حدّ أدنى معيّن من طبقة عمالية صناعية وحيث في ظروف معينة يكون تأليف مجالس العمال شرط أوّلي لتأليف مجالس الفلاحين-، بل بلدانا أخرى أكثر تأخرا مثل الفرس، الخ.

تناولت أطروحات روي، أساسا، الصين والهند حيث توجد طبقة عمالية صناعية. وتقرّح هذه الأطروحات تأليف مجالس العمال والفلاحين، في وضع معيّن؛ في مرحلة الانتقال من الثورة البرجوازية إلى الثورة العمالية. ومن الواضح أنّ هذه الأطروحات ترمي إلى الصين مباشرة.

أمّا الأطروحات الخاصة التي أقرها المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني تحت عنوان «متى وفي أية ظروف يمكن تأليف مجالس نواب العمال» فتتناول دور مجالس نواب العمال على أساس تجربة الثورات في روسيا وألمانيا. وتؤكد هذه الأطروحات أنّه «دون ثورة عمالية، ستحوّل مجالس العمال إلى مهزلة». ومن الواضح أنّه عندما نتناول قضية تأليف

فوري لمجلس نواب العمال والفلاحين في الصين وجب علينا أن نأخذ هذه الأطروحات الأخيرة بعين الاعتبار أيضا.

كيف نفهم قضية التآليف الفوري لمجلس نواب العمال والفلاحين في الصين إذا ما أخذنا بعين الاعتبار وفي ذات الوقت كلاً من الوضع الحالي في الصين بما فيه من تجربة كيومينتانغ ووهان من جهة أنه مركز الحركة الثورية وتعاليم المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني من خلال أطروحته الأخيرتين.

إنّ تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين في الوقت الحالي في المجال العملي، لنقل حكومة ووهان، سيكون بمثابة تركيز سلطة مزدوجة ورفع شعار التضال في سبيل الإطاحة بيسار الكيومينتانغ وإحلال سلطة جديدة سوفيتية محلّه في الصين.

إنّ مجالس نواب العمال والفلاحين هي أجهزة نضال للإطاحة بالسلطة القائمة، أجهزة نضال في سبيل سلطة جديدة. وظهور مجالس نواب العمال والفلاحين لا يمكنه إلا أن يخلق سلطة مزدوجة، وفي مثل هذه الحالة، لا يمكنه إلا أن يجعل قضية جعل كلّ السلطة للمجالس مشكلا عويصا.

كيف نفهم ما جرى في روسيا خلال آذار ونيسان وأيار وحزيران عام 1917؟ لقد كانت وقتئذ الحكومة المؤقتة التي تمتلك نصف السلطة - لكنها تمتلك في الحقيقة سلطة أكبر لأنها كانت تحظى بسند من الجيش. وشيئا فشيئا كان إلى جانبها مجالس نواب العمال والفلاحين التي كانت تمتلك ما يمكننا أن نسميه نصف السلطة رغم أنها لم تكن سلطة حقيقية مثل تلك التي كانت عند الحكومة المؤقتة. وكان شعار البلاشفة وقتئذ هو الإطاحة بالحكومة المؤقتة ونقل كلّ السلطة إلى مجالس نواب العمال والفلاحين. وما من بلشفي دخل الحكومة المؤقتة لأنه لا يمكنك أن تدخل حكومة وأنت بصدد الإطاحة بها. هل يمكن القول أنّ الوضع في روسيا في آذار-حزيران عام 1917 مماثل للوضع في الصين اليوم؟ كلاً، لا يمكن قول ذلك. ذلك أنّ روسيا كانت مقدمة على ثورة عمالية في ذلك الوقت، في حين أنّ الصين مقدمة الآن على ثورة برجوازية ديمقراطية. ذلك أنّ الحكومة المؤقتة في روسيا في ذلك الوقت كانت حكومة مضادة للثورة وإمبريالية، في حين أنّ حكومة ووهان الحالية هي حكومة معادية للإمبريالية وثورية بالمعنى الديمقراطي البرجوازي للكلمة.

ما تقترح المعارضة في هذا الموضوع؟

إنّما تقترح تأليفًا فورًا لمجلس نواب العمال والفلاحين والجنود في الصين كمراكز تنظيمية للحركة الثورية. لكنّ مجالس نواب العمال والفلاحين ليست فقط مراكز تنظيمية للحركة الثورية فقط. فهي قبل كلّ شيء وأساساً أجهزة للانتفاضة على السلطة القائمة، وأجهزة لتركيبة سلطة جديدة ثورية. فالمعارضة لا تفهم أنّ مجالس نواب العمال والفلاحين لا يمكنها أن تصبح مراكز للحركة الثورية إلا كأجهزة انتفاضة فقط، كأجهزة سلطة جديدة فقط. فإن غاب ذلك أضحت مجالس نواب العمال خدعة، وملحق للسلطة القائمة مثلما كان الحال في ألمانيا عام 1918 وفي روسيا في تموز 1917. فهل فهمت المعارضة أنّ تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين في الصين في الوقت الحالي سوف يعني تركيز سلطة مزدوجة، مشتركة بين المجالس وحكومة ووهان، وسيؤدي ذلك، بالضرورة وحتمًا، إلى المطالبة بإسقاط حكومة ووهان؟

أشكّ بقوة في أن يكون زينوفيف قد فهم هذا المشكل البسيط. لكنّ تروتسكي فهم ذلك جيدًا. فهو يعلن صراحة في أطروحته: «إنّ شعار المجالس يعني المطالبة بتركيز أجهزة سلطة ملائمة من خلال نظام انتقالي مزدوج السلطة». (انظر: أطروحات تروتسكي: «الثورة الصينية وأطروحات ستالين»)

إذن، ينبج عن ذلك، أنّه إذا ما ركّزنا المجالس في الصين وجب علينا، في ذات الوقت، أن نركّز «نظامًا مزدوج السلطة» وأن نطرح بحكومة ووهان وأن نألّف سلطة جديدة ثورية. ومن البديهي أنّ تروتسكي يعتمد هنا أحداث تاريخ الثورة الروسية السابقة لأكتوبر من عام 1917 نموذجًا. ففي تلك الفترة كان هنالك حقًا سلطة مزدوجة وكنا حقًا نعمل على الإطاحة بالحكومة المؤقتة.

لكنّي كنت قد قلت أنّ ما من أحد متأكد قد فكّر في الدخول في الحكومة المؤقتة. فلماذا لا يقترح تروتسكي الآن أن ينسحب الشيوعيون من الكيومينتانغ ومن حكومة ووهان؟ كيف يمكنك أن تركّز المجالس، كيف يمكنك أن تركّز نظامًا مزدوج السلطة في ذات الوقت الذي لا تزال فيه داخل حكومة ووهان التي تريد إسقاطها؟ لا تقدّم أطروحات تروتسكي أيّ جواب لهذا السؤال.

من الواضح أنّ تروتسكي قد أوقع نفسه في متاهات تناقضاته. فقد خلط بين ثورة ديمقراطية برجوازية وثورة عمالية. و«نسي» أنّ الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين أبعد من أن تكون قد أُنجرت بعد، أبعد من أن تكون قد انتصرت بعد وإتّما هي في أولى مراحل تطورها. ولا يفهم تروتسكي أنّ سحب دعم حكومة ووهان ورفع شعار ازدواج السلطة والشروع في الإطاحة بحكومة ووهان في الوقت الحالي من خلال تأليف المجلس فوراً إنّما يعني تقديم العون المباشر والقوي لتشان كاي-تشيك وتشان تسولين.

لقد سؤلنا كيف فهما تأليف مجلس نواب العمال في روسيا عام 1905؟

لم تكن نمرّ وقتئذ بثورة برجوازية ديمقراطية؟

أولاً. لم يكن هنالك وقتئذ إلا مجلسين أحدهما في سان-بيترسبورغ والآخر في موسكو. ووجود مجلسين لا يعني بعد تركيز نظام السلطة السوفيتية في روسيا.

ثانياً. كان مجلسا سان-بيترسبورغ وموسكو في تلك الفترة جهمازا انتفاضة على السلطة القديمة القيصرية. وذلك يؤكّد مرّة أخرى أنّه لا يمكن النظر إلى المجالس على أنّها مراكز تنظيم الثورة، وأنّها لا تكون كذلك إلا إذا كانت أجهزة للانتفاضة وأجهزة للسلطة الجديدة.

ثالثاً. يبيّن تاريخ مجالس العمال أنّه لا يمكن للمجالس أن توجد وتتطوّر إلا إذا توقرت ظروف ملائمة لانتقال مباشر من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة العمالية، بالتالي، إذا ظروف ملائمة للانتقال من السيطرة البرجوازية إلى دكتاتورية الطبقة العمالية.

أليس بفعل غياب تلك الظروف الملائمة أنّ مجالسي عمال سان بيترسبورغ وموسكو كانا قد اضمحلّا عام 1905؟ أليس ذلك ما كان لمجالس العمال في ألمانيا عام 1918؟

كان من الممكن أن لا يكون في روسيا عام 1905 مجالس عمالية لو كان في روسيا في ذلك الوقت منظمة ثورية واسعة مثل يسار الكيومينتانغ في الصين اليوم. لكن ما كان لمثل تلك المنظمة أن توجد في روسيا في ذلك الوقت لأنّ عناصر الاضطهاد القومي لم تكن قائمة بين العمال والفلاحين الروس؛ فالروس أنفسهم كانوا يضطهدون قوميات أخرى ولا يمكن أن توجد منظمة مثل يسار الكيومينتانغ إلا عندما يكون هنالك

اضطهاد قومي من جانب الإمبرياليين الأجانب الذي يجذب مجمل العناصر الثورية في البلاد في منظمة واحدة واسعة.

يجب أن يكون المرء أعمى حتى لا يرى ما ليسار الكيومينتانغ من دور جهاز نضال ثوري، جهاز الانتفاض على بقايا الإقطاع والإمبريالية في الصين. لكن ماذا ينتج عن ذلك؟

ينتج عن ذلك أن الدور الذي يقوم به يسار الكيومينتانغ الآن في الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين هو، تقريبا، ذات الدور الذي قامت به المجالس العمالية في الثورة الديمقراطية البرجوازية في روسيا عام 1905.

سيكون شأننا آخر لو أن في الصين لم توجد منظمة شعبية وديمقراطية ثورية من قبيل يسار الكيومينتانغ. لكن لما وجدت مثل تلك المنظمة الثورية المتميزة، الملائمة للخصائص التي تميز الظروف الصينية والتي برهنت على كفاءتها في مواصلة تطوير الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين، سيكون من الغباء وقلة الحذر أن نحطم تلك المنظمة التي تألفت خلال سنوات، الآن، حيث ليس للثورة إلا أن بدأت ولم تنتصر ولا انتصارها قريب.

لقد استنتج بعض الزفاق من هذا التقييم أنه يمكن استخدام الكيومينتانغ في المستقبل أيضا، خلال الانتقال إلى الثورة العمالية، من جهة أنه الشكل التنظيمي الحكومي للدكتاتورية العمالية. ويعتقدون أن في ذلك إمكانية انتقال سلمي من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة العمالية.

طبعاً، إن إمكانية تطور الثورة تطورا سلميا ليس، بوجه عام، أمرا مستبعدا. جرى الحديث عندنا أيضا في روسيا في التصف الأول من عام 1917، عن إمكانية تطور الثورة تطورا سلميا من خلال المجالس.

لكن، أولا، ليس الكيومينتانغ والمجالس ذات الشيء. فإن أمكن ملامحة الأول لعمل تطوير الثورة الديمقراطية البرجوازية فلا يعني ذلك بالضرورة أن من الممكن أن يلاءم العمل على تطوير الثورة العمالية.

ثانيا. لقد اتضح في الواقع أن الانتقال السلمي إلى الثورة العمالية في روسيا عام 1917 أمرا مستبعدا حتى لو كان ذلك بالمجالس.

ثالثاً: إنّ المراكز العاليتة في الصين قليلة العدد جدّاً، وأعداء الثّورة أقبواء وكثيرو العدد، وكلّ تقدّم تحرزه الثّورة وكلّ ضربة للإمبريالية إنّما ذلك بانشقاقات جديدة في الكيومينتانغ وبتقوية جديدة للحزب الشيوعي الصيني على حساب هيبة الكيومينتانغ.

أعتقد أنّه يجب استبعاد فكرة تطوّر الثّورة الصينيّة تطوّراً سلميّاً.

أعتقد أنّ مجالس نواب العمال والفلاحين سيكون من الواجب تركيزها في الصين خلال مرحلة الانتقال من الثّورة الديمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثّورة العاليتة. وفي الطّروف الحاليّة يستحيل الانتقال دون مجالس نواب العمال والفلاحين.

من الطّوروري قبل كلّ شيء دفع الحركة الزراعيّة حتّى تتطوّر في كامل الصين وتقوية حكومة ووهان ودعمها في التّضال ضدّ النظام الإقطاعي-البيروقراطي، ومن الطّوروري مساعدة ووهان حتّى تنجز الانتصار على أعداء الثّورة، ومن الطّوروري، بالمعنى الواسع والكوفي، تطوير الجمعيات الفلاحيّة ونقابات العمال وغيرها من المنظّمات الثّوريّة من جهة أنّها الأساس الذي سترتكز عليه المجالس في المستقبل، ومن الطّوروري دفع الحزب الشيوعي الصيني حتّى يقوّي من تأثيره في الفلاحين وفي الجيش؛ فقط بعد كلّ ذلك يمكن تركيز مجالس نواب العمال والفلاحين كأجّمة للتّضال في سبيل سلطة الجديدة، كعناصر في سلطة مزدوجة، كعناصر لتحضير الانتقال من الثّورة الديمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثّورة العاليتة.

ليس تركيز المجالس العاليتة في الصين موضوع كلام أجوف أو خطابة «ثوريّة» جوفاء. ولا يمكن أن تقدّر هذه القضية باستخفاف مثلما يفعل تروتسكي.

إنّ تأليف مجالس العمال والفلاحين يعني، أولاً، الانسحاب من الكيومينتانغ؛ لأنّك لا تستطيع أن تركّز مجالس وأن تبشّر بسلطة مزدوجة من خلال دعوة العمال والفلاحين إلى أن يركّزوا سلطة جديدة في ذات الوقت الذي تكون فيه داخل الكيومينتانغ وحكومته.

وتركيز مجالس نواب العمال يعني، أيضاً، أن نعوّض التكتل الحالي داخل الكيومينتانغ بتكتل من خارجه، تكتلاً يشبه لداك الذي كان بين البلاشفة ويسار الاشتراكيين الثّوريين في أكتوبر 1917.

لماذا؟ لأنه إذا ما تعلق الأمر بثورة ديمقراطية برجوازية كانت القضية تركيز دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية وسياسة توافقتها تماما قوامها التكتل في الكيومينتانغ. أما إذا ما تعلق الأمر بتأليف المجالس والانتقال إلى الثورة العمالية فستكون القضية تركيز الدكتاتورية العمالية، تركيز سلطة المجالس؛ فلا يمكن أن تُحصر هذه السلطة وتركز إلا بقيادة حزب واحد: الحزب الشيوعي.

بالإضافة إلى ذلك، يترتب على مجالس نواب العمال واجبات. يجني العامل الصيني اليوم ما بين 8 و15 روبلا في الشهر. ويعيش في ظروف لا تطاق. وهو مرهق جدا بطول مدة العمل. وهذا الوضع يجب، ومن الممكن، إنهاءه فوراً برفع الأجور وبتطبيق يوم عمل من ثمان ساعات وتحسين ظروف سكن الطبقة العمالية، الخ.

لكن عندما تكون هنالك مجالس نواب العمال سوف لن يرضى العمال بذلك. وسيقولون للشيوعيين (وهم على حق): بما أنه أصبح لدينا مجالس وبما أن هذه المجالس هي أجهزة السلطة فلما لا نغير قليلا على البرجوازيين فنجردهم «القليل» مما يملكون؟ سيكون الشيوعيون فارغي الأيدي إذا لم يجردوا البرجوازية من ملكيتها في الوقت الذي توجد فيه مجالس نواب العمال والفلاحين.

لكن القضية التي أمامنا هي هل نطبق ذلك الآن في المرحلة الحالية من الثورة؟ كلا، لا يجب علينا ذلك.

هل يمكننا، وهل يجب علينا أن نمسك عن تجريد البرجوازية من ملكيتها في المستقبل لما يكون هنالك مجالس نواب العمال والفلاحين؟ لا. لكن الذي يفكر في أنه وإذا ما كانت الحالة تلك سنحافظ على التكتل داخل الكيومينتانغ، فإننا هو يعمل في ضلال الأوهام ولا يفهم مجرى صراع القوى الطبقة في مرحلة الانتقال من الثورة البرجوازية إلى الثورة العمالية.

على هذا النحو تطرح قضية تركيز مجالس نواب العمال والفلاحين في الصين. وكما ترون، ليس الأمر في غاية البساطة مثلما يدعي أناس نيري الفكر أمثال تروتسكي وزينوفيف.

هل، بوجه عام، يُسمح للماركسي، من الناحية المبدئية، أن يقف إلى جانب البرجوازية الثورية وأن يتعاون معها في إطار حزب ديمقراطي ثوري مشترك أو في حكومة ديمقراطية ثورية مشتركة؟

يعتقد بعض الانتهازيين أن ذلك غير مسموح به. لكن تاريخ الماركسيّة يقول لنا أن ذلك مسموح به تماما في بعض الظروف ولفترة معينة.

يمكنني أن أشير، كمثال، إلى ماركس بخصوص ألمانيا عام 1848، حين كانت الثورة ضدّ الحكم المطلق الألماني، وحيث التحق ماركس ورفاقه بالرابطة الديمقراطية البرجوازية في الزينان، وكان ماركس محرّر المجلة الزينانية الجديدة لسان حال ذلك الحزب الديمقراطي الثوري.

لقد انضمّ ماركس إلى هذه الرابطة الديمقراطية البرجوازية ليستغلّ البرجوازية الثورية لكتفه نقد ورفاقه، بكلّ جرأة، مخجل حلفاءه على اليمين. كذلك الحال عند الحزب الشيوعي الصيني، فهو ينضمّ إلى الكيومينتانغ ويجب أن ينقد بقوة تردّد ومخجل حلفاءه في يسار الكيومينتانغ.

نحن نعلم أنّ ماركس ورفاقه قد غادروا تلك البطولة الديمقراطية البرجوازية فقط في ربيع عام 1849، ليشرعوا في تأليف منظمة مستقلة للطبقة العاملة ذات سياسة طبقية تامة الاستقلال.

كما ترون، لقد ذهب ماركس أبعد ممّا ذهب إليه الحزب الشيوعي الصيني الذي هو حزب مستقلّ للطبقة العاملة داخل الكيومينتانغ.

من الممكن معرفة ما إذا كان من المناسب لماركس ورفاقه أن ينضمّوا إلى تلك الرابطة الديمقراطية البرجوازية عام 1848. فمثلا، رأت روزا لكسمبورغ أنّه كان على ماركس ألاّ ينضمّ إليها. تلك قضية تكنيكية. لكن أن يكون ماركس وأنجلس قد أوليا اهتماما، من الناحية المبدئية، إلى إمكانية وفرص الانضمام إلى حزب ديمقراطي برجوازي في إحدى مراحل الثورة الديمقراطية البرجوازية في بعض الظروف ولفترة معينة فذلك أمر لا شكّ فيه. أمّا إذا كما نريد أن نعرف ما إذا كان على الماركسيين أن يشاركوا وينسقوا مع البرجوازية الثورية في ظروف محدّدة وفي وضع بعينه فلدينا لذلك مواقف الماركسيين مثل أنجلس ولينين. ونعلم أنّ أنجلس، في كراسه «الباكوتيون في العمل»، تحدّث في

صالح مثل تلك المشاركة. ونعلم أنّ لينين، عام 1905، قال كذلك أنّ تلك المشاركة في الحكومة الديمقراطية الثورية البرجوازية مقبولة.

5. خطّان

نعم، أمامنا خطان مختلفان في القضية الصينية تمام الاختلاف: خط الأيمية الشيوعية وخط تروتسكي وزينوفيف.

خط الأيمية الشيوعية. الأساسي في الحياة الصينية في الصين اليوم هو بقايا الإقطاع والبنية الفوقية البيروقراطية العسكرية المرتكزة عليها والتي تتلقى كامل الدعم من إمبريالي كل البلدان. لذا تمرّ الصين حاليًا بثورة زراعية موجهة ضدّ بقايا الإقطاع والإمبريالية في ذات الوقت. وتمثّل الثورة الزراعية في الصين قاعدة الثورة الديمقراطية البرجوازية ومحتواها. ويمثّل كيومينتانغ ووهان وحكومته مركز الحركة الديمقراطية الثورية البرجوازية. أمّا نانكين وحكومتها فتمثّلان مركز الثورة المضادة القومية.

إنّ سياسة دعم ووهان هي في ذات الوقت سياسة تطوير الثورة الديمقراطية البرجوازية بكلّ ما ينجرّ عنها. فكانت مشاركة الشيوعيين في كلّ من كيومينتانغ ووهان وحكومة ووهان لا تلغي، بل تفترض، أن ينتقد الشيوعيون ما لحلفائهم في الكيومينتانغ من مجل وتردّد.

يجب على الشيوعيين أن يستغلوا هذه المشاركة حتى يسهلوا دور همينة الطبقة العاليتة الصينية في الثورة الديمقراطية البرجوازية وتعجيل لحظة الانتقال إلى الثورة العاليتة. عندما تقرب لحظة انتصار الثورة الديمقراطية البرجوازية انتصارًا تامًا، وعندما يصبح طريق الانتقال إلى الثورة العاليتة واضحًا خلال مجرى الثورة الديمقراطية البرجوازية، عندئذ يكون الوقت قد حان لضرورة تركيز مجالس نواب العمال والفلاحين والجنود كعناصر سلطة مزدوجة؛ كأجهزة نضال في سبيل السلطة الجديدة، كأجهزة للسلطة السوفيتية الجديدة.

يجب على الشيوعيين، عندما يحين ذلك الوقت، أن يعوضوا التكتل داخل الكيومينتانغ بتكتل آخر خارج الكيومينتانغ، ويجب على الحزب الشيوعي الصيني أن يصبح القائد الوحيد في الثورة الجديدة في الصين.

أما أن نقترح الآن، مثلما فعل تروتسكي وزينوفيف، تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين فوراً، وأن نركز الآن سلطة مزدوجة فوراً في حين لا تزال الثورة الديمقراطية البرجوازية في أولى مراحل تطورها ولا يزال الكيومينتانغ يمثل الشكل التنظيمي للثورة الديمقراطية الوطنية الأكثر ملاءمة والأكثر مطابقة للخصوصيات المميزة للصين، إنما سيكون ذلك تفككاً في الحركة الثورية وإضعافاً لوهان وتسهيلاً لسقوطها وتقديمها للعون إلى تشان كاي-تشيك.

خط تروتسكي وزينوفيف. بقايا الإقطاع في الصين هي نتاج مخيطة بوخارين، فلا وجود لها في الصين أبداً، أو هي على ضعف إلى حد أنه لا يمكن أن تكون بعض أهمية جدية. ويبدو أن ما من ثورة زراعية في الوقت الحالي في الصين. لكن من أين قدمت؟ لا يعلم ذلك إلا الشيطان (ضحك).

لكن هناك تلك الثورة الزراعية. ويجب أخذها بالحسبان على نحو معين. والأمر الأساسي في الساعة الزاهنة ليس الثورة الزراعية بل ثورة في سبيل استقلال الصين الجمركي، ثورة ضد التبعية الجمركية إن أمكن أن نقول ذلك.

كيومينتانغ ووهان وحكومة ووهان هما خدعة (تروتسكي) أو كمالية (زينوفيف). فمن جهة أولى، يجب تركيز سلطة مزدوجة للإطاحة بحكومة ووهان عبر تأليف المجالس فوراً (تروتسكي). ومن جهة ثانية، يجب تقوية حكومة ووهان ويجب أن تقدم له السند الأكثر حيوية عبر تأليف المجالس فوراً على ما يبدو أيضاً.

يجب على الشيوعيين، حقاً، أن ينسحبوا فوراً من هذه «الخدعة»؛ من حكومة ووهان وكيومينتانغ ووهان. لكن ورغم ذلك سيكون من الأنسب إذا ما بقوا في هذه «الخدعة»؛ في حكومة ووهان وكيومينتانغ ووهان. لكن لماذا يجب عليهم أن يبقوا في ووهان إذا ما كانت ووهان «خدعة» - لا يعلم ذلك إلا الله. وكل من لم يوافق على ذلك هو متهاون وخائن.

ذلك هو ما يسمى بخط تروتسكي وزينوفيف.

إته يصعب تخيل خطأ أكثر فجاجة وتشوّشا من هذا الخط.

يظهر أننا نواجه لا ماركسيّين بل رهطا من البيروقراطيين لا صلة لهم بالحياة، أو بالأحرى سيّاح «ثورّيون» كانوا منشغلين بالتجوّل في سوخوم (Sukhum) وكيسلوفودسك (Kislovodsk) وما شابهها من المناطق، في الوقت الذي كان فيه الاجتماع السّابع الموسّع لتنفيذيّة الأُمّية الشّيعيّة يحدّد الموقف الأساسي من الثّورة الصّينيّة، ليعلموا فيما بعد، عبر الجرائد، أنّ شيئا ما قد حصل من قبيل ثورة في الصّين — هل كانت ثورة زراعيّة أم ثورة معادية للتّبعية الجرّميّة، فذلك غير واضح، ورأوا أنّ من الصّورّي أن يألّفوا حزمة من الأطروحات، بعضها الأوّل في نيسان وبعضها الثّاني في بداية أيّار وبعضها الآخر في آخر أيّار، وإذ فرغوا منها أمطروا بها تنفيذيّة الأُمّية الشّيعيّة ذاهبا في اعتقادهم أنّ ذلك الكمّ الكبير من الأطروحات المشوّشة والمتناقضة سيكون أحسن وسيلة لإيقاظ الثّورة الصّينيّة.

أيّما الرّفاق، ذاك هما الخطّان في الثّورة الصّينيّة.

ولكم الخيار.

أيّما الرّفاق، أختم خطّابي:

أريد أن أقول بعض الكلمات، في الختام، في المغزى السياسي والأهميّة للإعلان الانقشامي الذي قدّمته تروتسكي وزينوفيف **في الوقت الحالي**. إنّهما يحتجان على كونهما ليس لهما الحرّيّة الكافية ليأرسا ما يجلو لهما من خروقات وتشويهاً لا سابق لها داخل الأُمّية الشّيعيّة والحزب الشّيعي البلشفي في الاتّحاد السّوفييتي. فما يريدانه، أساسا، هو حرّيّة العمل على تفكيك الأُمّية الشّيعيّة والحزب الشّيعي البلشفي في الاتّحاد السّوفييتي، ما يريدانه، أساسا، هو أن يزرعا تقاليد ماسلو وجماعته داخل الأُمّية الشّيعيّة والحزب الشّيعي البلشفي في الاتّحاد السّوفييتي.

أيّما الرّفاق، يجب أن أقول أن تروتسكي اختار لحظة غير مناسبة لتبجّاته على الحزب والأُمّية الشّيعيّة. لقد بلغني خبر مفاده أن حكومة المحافظين البريطانيّة قد قرّرت قطع علاقاتها باتّحاد الجمهوريات السّوفييتيّة الاشتراكية. وليس هنالك من حاجة حتّى نبرهن على أنّ ذلك ستبعية حملة عالمية على الشّيعيّين، فثلك الحملة قد بدأت فعلا. فالبعض يهدّد الحزب الشّيعي البلشفي في الاتّحاد السّوفييتي بالحرب والتّدخل، والبعض الآخر

يهده بالانشقاق. لقد بدأ يتشكل شيء من قبيل الجبهة المتحدة من تشامبرلين حتى تروتسكي.

قد يكون ذلك لإخافتنا. لكن لسنا في حاجة حتى نبرهن على أنّ البلاشفة ليسوا من النوع الذي يخاف. لقد شهد تاريخ البلشفية العديد من تلك «الجبهات». وبين تاريخ البلشفية أنّ تلك «الجبهات» قد حطّمتها ما كان للبلاشفة من تصميم ثوري وشجاعة عليا.

يجب ألا يساوركم الشكّ في أنّنا سنحطّم هذه «الجبهة» الجديدة أيضا ❁

نشر لأول مرة في:

البلشفي، عدد 10، 31 أيار 1927.

